العرب
الإثنين 2021/11/22
السنة 44 العدد 12248

الاتفاقات التركية - الروسية نذير شؤم على أكراد سوريا

أنقرة تسعى لاتفاق مع موسكو وضوء أخضر أميركي لبدء توغل جديد في سوريا

تفيد تقارير متواترة بأن تركيا تحضّر لشنّ عملية عسكرية للاستيلاء على أراض كردية في سوريا بعد اتفاق جرى خلال لقاء جمع الرئيس الروسي بنظيره التركي، حيث يبدو أن موسكو ستغضّ الطرف عن تجاوزات أنقرة ما لم ينسحب الأكراد من مناطق محددة في شمال سوريا لصالح حليفها نظام الأسد.

دمشق - يرتكز مصير الأكراد السوريين على الصفقات الربحية بين روسيا وتركيا، ويُعرف كلا البلدين بالإضافة إلى الولايات المتحدة برصد مصالحهما السياسية في سوريا على حساب الأكراد. وسواء اتفق الجانبان أم اختلفا فإن الأكراد هم دوما الخاسر الأكبر في اللعبة.

ويمثل الأكراد نحو سبعة في المئة من عدد سكان سوريا، حيث تتراوح التقديرات غير الرسمية لأعدادهم ما بين مليون ومليوني نسمة، وبعض المصادر المقربة من الأكراد ترفع تلك التقديرات إلى نحو ثلاثة ملايين نسمة من أصل أكثر من 18 مليونا هم عدد سكان سوريا.

فكيف ستؤثر الترتيبات الأخيرة التي جرت من وراء الكواليس على أكبر أقلية عرقية في سوريا؟

وبصفتهم لاعبا صغيرا على ساحة الأحداث الكبيرة في سوريا، يحاول الأكراد الحفاظ على علاقات جيدة مع كل من واشنطن وموسكو، وهم على علم بأن الولايات المتحدة قوة عالمية كبرى، وأن لروسيا نفوذًا قويًا للغاية على دمشق، ولكن المشكلة تكمن في أن الولايات المتحدة أظهرت مرارًا وتكرارًا أنها غير مستعدة للسماح بتدهور علاقاتها مع تركيا، وهي حليفتها في الناتو، بسبب الأكراد.

لهذا السبب يقول المحلل السياسي نيكولا ميكوفيتش إنه يتعين على الأكراد اللجوء إلى روسيا وبشار الأسد للحصول على حماية حقيقية.

عملية جديدة مرتقبة

منذ لقاء الرئيس فلاديمير بوتين بنظيره التركي رجب طيب أردوغان في منتجع سوتشي الروسي على البحر الأسود في سبتمبر الماضي وتركيا تحضّر لعمل عسكري في شمال سوريا، وتشير التقارير إلى أن أنقرة تخطط لتنفيذ عملية جديدة ضد الأكراد السوريين والاستيلاء على مدينة تل رفعت وكذلك مدينة عين العرب (كوباني) وهي بلدة تعرف باسم ستالينغراد الكردية. وتخضع عين العرب لسيطرة وحدات حماية الشعب التي يهيمن عليها الأكراد منذ عام 2012، وقد دخلت القوات السورية والروسية المدينة الحدودية في عام 2019 بعد توغل تركي سابق.

وخلال الأسابيع القليلة الماضية تفاوض المسؤولون الأتراك والروس حول اتفاق للتعامل مع مخاوف أنقرة بشأن "وحدات حماية الشعب الكردية"، وهي منظمة تعتبرها تركيا جماعة إرهابية بسبب صلاتها بحزب العمال الكردستاني المحظور. وأفادت الأنباء أن أنقرة تفكر في ترك بعض الأجزاء الصغيرة من إدلب، وهي الأراضي السورية المتبقية التي يسيطر عليها المتمردون، للقوات الروسية مقابل دعمها لعملية في شمال سوريا.

> أنقرة تفكر في ترك بعض الأجزاء الصغيرة من إدلب للقوات الروسية مقابل دعمها لعملية في شمال سوريا

وفي الوقت نفسه تجري قوات سوريا الديمقراطية التي يقودها الأكراد والجيش الروسي محادثات لسحب الوحدات الكردية من المناطق المتاخمة للحدود التركية لتجنب مواجهة عسكرية مع تركيا. وبحسب التقارير يحاول الروس إقناع قوات سوريا الديمقراطية بسحب مقاتليها من شمال سوريا لمنع عملية عسكرية تركية أخرى من شأنها أن تكون لها عواقب وخيمة على الأكراد. والأمل هو أن تنتقل قوات سوريا الديمقراطية إلى الجنوب من الطريق الدولي إم – 4 الذي يبعد 32 كيلومترًا عن الحدود التركية.

ويقول المحلل السياسي الصربي في مقال لموقع سنديكيشن بيورو المتخصص في شؤون الشرق الأوسط، إنه من منظور عسكري بحت يبدو أن الأتراك مستعدون لشن هجوم ضد وحدات حماية الشعب الكردية، وإلى جانب مدينتي تل رفعت وعين العرب، من المحتمل أن تشمل المناطق المستهدفة الأخرى منبج غرب الفرات، وعين عيسى وتل تمر شرق النهر. وقد تم وضع الوحدات العسكرية للوكلاء الأتراك في إدلب على مستوى عال من الجاهزية القتالية.

تبادل للأراضي

يتوقف بدء توغل آخر في سوريا على إجراء صفقة سياسية بين تركيا وروسيا، ومن غير المرجح أن يكون لدى صانعي السياسة في أنقرة أي مخاوف من أن الأكراد قد يكونون قادرين على مقاومة الجيش التركي. وفي الواقع، نظرًا إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية في تركيا، فإن انتصارا عسكريا صغيرا في سوريا ضد الأكراد سيكون أكثر من مفيد لأردوغان. ولكن ليس من المحتمل أن تبدأ تركيا هجومًا حتى تعقد اتفاقا نهائيا مع روسيا، وتحصل على الضوء الأخضر من الولايات المتحدة.

والتقى أردوغان والرئيس الأميركي جو بايدن في روما في قمة مجموعة العشرين أواخر أكتوبر الماضي، وأكد الزعيم التركي عدم ارتياحه لدعم الولايات المتحدة لمقاتلي وحدات حماية الشعب الكردية في سوريا.

وفي الجانب الآخر يتهم بعض الأكراد السوريين الولايات المتحدة وروسيا بالتقاعس أمام هجوم تركي محتمل، والموقف الروسي واضح، فإذا لم ينسحب الأكراد من أماكن معينة في شمال سوريا ويسمحوا للقوات الروسية والجيش السوري بفرض سيطرة كاملة على المنطقة، فإن الكرملين سوف يغض الطرف عن الإجراءات التركية.

ويرجح ميكوفيتش أن تعقد روسيا أولا اتفاقا مع أنقرة يتضمن "تبادلا للأراضي" يشمل الأراضي التي يسيطر عليها الأكراد مقابل جزء من إدلب.

نيكولا ميكوفيتش
الأكراد هم الحلقة الأضعف في المغامرة الروسية – التركية

وبحسب ما أوردته بعض المصادر الروسية وبعض المصادر الموالية للأسد، فإن الجيش السوري يستعد لشن هجوم على أجزاء من إدلب الواقعة تحت سيطرة القوات المدعومة من تركيا، ويبدو أن هذا الهجوم يمكن أن يتم حتى لو لم تتوصل موسكو وأنقرة إلى حل وسط بشأن الأراضي التي تسيطر عليها وحدات حماية الشعب الكردية.

وهناك أيضًا تقارير تفيد بأن روسيا زادت عدد الطائرات العاملة في شمال سوريا، وهو ما يمكن تفسيره على أنه رسالة لشركائها الأتراك مفادها لا تبدأوا حملة عسكرية حتى نصل إلى الاتفاق النهائي الذي يتضمن مصير الطريق السريع إم – 4، وبالنسبة إلى كل من موسكو وأنقرة، فإن هذا الطريق السريع له أهمية استراتيجية، ولهذا السبب من المتوقع أن يكون في نهاية المطاف تحت السيطرة التركية – الروسية المشتركة. وفي هذه المرحلة لا يزال إم – 4 مغلقًا ولم يتم إنشاء ممرات أمنية بعرض ستة كيلومترات في شمال وجنوب الطريق.

ومن المحتمل أن تناقش روسيا وتركيا هذه المسألة قريباً على الأرجح في ديسمبر المقبل في عاصمة كازاخستان نور سلطان. وفي غضون ذلك سنرى إذا كانت أنقرة ستحصل على الموافقة للقيام بعمل عسكري محدود في المنطقة.

وحسب المحلل الصربي هناك شيء واحد مؤكد بغض النظر عن الوضع في سوريا، وهو أن موسكو وأنقرة ستستمران في عقد الصفقات والاتفاقيات كالمعتاد، وستسود شراكتهما الخاضعة للظروف على الخلافات المتعلقة بموقف الأكراد السوريين، وهم الحلقة الأضعف في المغامرة الروسية – التركية – السورية.

هروب حوثي من الضغوط الدولية نحو المزيد من التصعيد

عدن – رد المتمردون الحوثيون المدعومون من إيران على الضغوط الدولية التي تضمنت إدانة مجلس الأمن الدولي وتصنيف وزارة الخزانة الأميركية لعدد من قادتهم ضمن القوائم السوداء بالمزيد من التصعيد العسكري ومعاودة استهداف المواقع الاقتصادية والمدنية في السعودية باستخدام طائرات إيرانية مسيّرة.

وأعلن الحوثيون السبت في بيان نشره الناطق العسكري باسمهم يحيى سريع عن استهداف الأراضي السعودية بعدد من الهجمات باستخدام الطائرات المسيرة المفخخة والتي طالت عددا من المواقع من بينها "قصف قاعدة الملك خالد في الرياض بأربع طائرات مسيرة من نوع صماد 3، ومطار الملك عبدالله الدولي ومصافي أرامكو بجدة بأربع طائرات مسيرة من نوع صماد 2، وقصف مطار أبها الدولي بطائرة صماد 3، إضافة إلى "قصف أهداف عسكرية مختلفة في مناطق أبها وجيزان ونجران بخمس طائرات مسيرة من نوع قاصف 2 كي. وبلغ عدد الطائرات المسيّرة المشاركة في العملية أربع عشرة طائرة" بحسب ما جاء في البيان الحوثي.

ويهدف الحوثيون من هذا التصعيد العسكري الكبير، وفقا لمراقبين، إلى الرد على الضغوط الدولية التي تضمنت إدانة مجلس الأمن الدولي لاقتحامهم مبنى السفارة الأميركية في صنعاء واحتجاز عدد من العاملين فيه، وكذا التحول في الموقف الأميركي الذي جاء على شكل بيانات إدانة وحزمة من القرارات بضم عدد من قادة الجماعة إلى القوائم السوداء.

ويأتي التصعيد الحوثي في أعقاب تحول مفاجئ ولافت في خارطة العمليات العسكرية على الأرض وخصوصا في الساحل الغربي، حيث تمكنت القوات المشتركة من شن هجمات مباغته أسفرت عن تحرير مناطق شاسعة في شرق الحديدة وغرب تعز بإسناد جوي من التحالف العربي لدعم الشرعية بقيادة السعودية.

وفي تصريح لـ"العرب" اعتبر الباحث العسكري اليمني وضاح العوبلي أن التصعيد الحوثي باتجاه السعودية "يأتي ردا على جهودها في إيقاف زحفهم على مأرب بعدد من الطلعات الجوية المؤثرة، والتي أثخنت الحوثيين بالخسائر المختلفة، وكبحت جماح تقدماتهم حول هدفهم الاستراتيجي مأرب – صافر".

وأشار العوبلي إلى أن انهيار الحوثيين في جبهات الساحل تحصيل حاصل للحالة التي أصبحوا فيها، إضافة إلى أن الضربة جاءتهم من حيث لا يتوقعون.

وأضاف "أعتقد أن انهياراتهم ستتلاحق ما لم تصطدم تحركات القوات المشتركة بإجراءات وقرارات دولية أو أممية قد يناور الحوثيون بأكثر من طريقة وتكتيك للوصول إليها وبما يحقق إعاقة تقدم القوات المشتركة كما جرى في الحديدة، أما بدون ذلك فأعتقد أن قيادة القوات المشتركة لن تجد أي مبررات لإيقاف معركتها، وستستمر حتى تحقيق ما انطلقت لأجله وفق خططها المُعدة لذلك".

وشهدت المواقف الدولية تحولا لافتا في الآونة الأخيرة من خلال التوجه نحو إدانة ممارسات الحوثيين بشكل أكثر وضوحا، وهو الأمر الذي ألقى بظلاله على التصريحات الحوثية التي تباينت بين محاولة لإظهار المزيد من التحدي للمجتمع الدولي وإحياء خطاب "المظلومية" الذي تشهره الجماعة المدعومة من إيران عند تصاعد الضغوط عليها بوصفها طرفا معرقلا للسلام في اليمن.

وترافقت تصريحات الإدانة للسلوك الحوثي التي أدلى بها وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن والتي اتهم فيها إيران بتأجيج الصراع في اليمن مع تصريحات مماثلة لوزير الدفاع لويد أوستن قال فيها إن على الحوثيين وقف الهجمات على السعودية، وعلى طهران وقف دعمها للميليشيات.

وبدروه علق القيادي في الجماعة الحوثية محمد على الحوثي على التصريحات الأميركية في تغريدة على تويتر وصف فيها التصريحات الأميركية بأنها "خلط للأوراق وتغطية على إجرامها وعدوانها وحصارها المستمر". وقال إن تصريحات وزير الدفاع الأميركي "نتاج شراكة فعلية في الميدان وهي من تعيق الاستقرار وترفض السلام بدعمها وحمايتها العلنية للمعتدي وبسلاحها القاتل لأطفال ونساء الشعب".

وضاح العوبلي
انهيارات الحوثيين ستتلاحق ما لم تتوقف القوات المشتركة

سعيد بكران
الجماعة تعيش حالة ارتباك منذ إعادة تموضع القوات المشتركة

وفي تصريح لـ"العرب" قال الباحث السياسي اليمني سعيد بكران إن التصعيد "إشارة إلى حالة ارتباك تعيشها الجماعة منذ حصلت عملية إعادة ترتيب تموضعات القوات المشتركة وقوات التحالف"، لافتا إلى أن استهداف منشآت أرامكو وهي أحد أهم مصادر الطاقة العالمية في هذا التوقيت الصعب الذي تمر به الأسواق العالمية وارتفاع مستويات أسعار الطاقة "يعطي صورة واضحة عن العقلية الابتزازية والعدوانية التي تدير بها الجماعة الإيرانية الصراع في اليمن ومع الإقليم والعالم".

وعن قراءته للتحول اللافت في المواقف الأميركية والدولية تجاه الحوثيين، أضاف بكران "تبدو الاستدارة التي نفذها التحالف على المستوى السياسي والعسكري محرجة للمجتمع الدولي وتذهب به نحو معاينة حقيقة الجماعة كما هي دون تضليل اللوبيات الضاغطة المؤيدة لها ولهذا بات المجتمع الدولي اليوم معنياً أكثر بالتعاطي المختلف والصارم ليس من أجل الاستقرار في اليمن والإقليم فقط، وإنما لتحمل مسؤوليته في حماية المصالح الدولية التي لم تعد الجماعة مكترثة بمراعاتها".

وحول العلاقة بين التصعيد الحوثي والتطورات الميدانية المتسارعة في الساحل الغربي، قال "هذه هي النقطة الأهم في مشهد الارتباك الذي تعيشه الجماعة والتحركات العسكرية السريعة والمباغتة للقوات المشتركة دفعت الجماعة نحو المزيد من التصعيد الذي يضر بإمدادات الطاقة ويفاقم أزمة ارتفاع أسعارها".

المسيرات الإيرانية تعمق أزمات المنطقة